الخاتمة

كان المتنبي عبقرية متميّزة قلّ نظيرها في الأدب العربي ممن سبقه أو جاء بعده من شعراء العربية، وأصبح شاعر الأمة الخالد، وشكلّ شعره ثقافةً واسعةً لا تحصر بحدود، ومعيناً ثراً استقى منه الشعراء ما يحلو لهم من فنه الرائع ولغته العذبة وفكرته اللطيفة وحكمته البليغة، ونسجوا على منوالها قصائدهم وإبداعاتهم، وأفادوا من موروثه الضخم وتأثروا به منذ عصره وحتى يوم الناس هذا. وكان شعره نتاج مرحلة مهمة في العصر العباسي، فبعد أن استقرت فيها القصيدة العربية من ناحيتي المبنى والمعنى توجت هذه المرحلة بقصيدة المتنبي التي بلغ فيها النمط الموروث قمة الاستقرار والنضج ..

وعلى هذا الأساس انطلقت رحلتي في عالمين اثنين لا ثالث لهما الأول: (المتنبي)، وقد صحبته في هذه الرحلة، وكانت من دون شك جميلة وشائقة وممتعة، فهو شاعر العربية الذي مضى على مقتله أكثر من ألف عام؛ ولا يزال شعرهُ على كل لسان، وحكمه تزين أساليب أرباب الفصاحة والبيان، فكأنه يمشي في الجو، وسائر الشعراء يمشون في الأرض .

والآخر: عالم الشعر اليمني الحديث، والذي ارتبط بالثورة والتراث، كما ظلَّ شعر اليمن الحديث "الصوت الوحيد الذي تتردد فيه أنفاس الشعب المغلوب على أمره، لقد أنبتت اليمن نجوماً في سماء الشعر، وبطولات في دنيا القلم والنضال معاً، ولم تنبت شعراً عادياً، و إنما شعراً تعطره البطولة من أجل الحرية والعروبة.

لقد أنجبت اليمن في عصرها الحديث صفوة من الشعراء الذين أسهموا إسهاماً فعالاً في دفع عجلة التطور الأدبي والانطلاقة الشعرية الصاعدة في الوطن العربي.

لقد سجل الشاعر اليمني في مختلف مراحل النضال أروع صور البطولة والتضحية والفداء التي جعلته يتميز بها في كفاحه ضد الاستعمار البريطاني ونظام الإمامة، فقد كان صوت الشاعر هو الرصاصة الثانية التي اخترقت صدر الأعداء، إذ سجل الشعراء أحداث الثورات بكل دقة، فضلاً عن فاعليتهم وحماسهم الثوري

في صنع الثورة، بعد أن أثبتنا أن كل نص من نصوص المتنبي يتداخل مع نصوص شعراء اليمن، وقد تتعدد الآلية تبعاً لتشعب الموضوعات ومقصدية المبدع.

ليس بالضرورة أن يجاري النص النصوص التي يتداخل معها، فقد تتنوع العلاقات تبعاً للموضوعات المتداخلة، فهناك علاقات إعجاب أو تعضيد أو تبجيل، أو تضافر ومجاراة، وقد يأتي التداخل بشكل قصدي أو بشكل عفوي وذلك حينما تدخل إشارة من شعر المتنبي في شعر غيره من المتأثرين به من شعراء اليمن من غير وعي منه بذلك التداخل.

تخضع درجة المقاربة بين النصين الموثر والمتأثر لمقدار العناصر المشتركة، ويتحدد التداخل الإيجابي بمدى نجاح النص الجديد في التوظيف والتحويل إلى ما يتلاءم مع الحالة الجديدة المعاصرة.

سبق أن ذكرنا أن شعراء اليمن قد أولوا شخصية المتنبي اهتماماً أوضحت عنه قصائدهم العمودية والجديدة، ويعدُّ ورود ذكر هذه الشخصية وتوظيفهم لها ارتقاء لذوقهم وإبداعهم وتقنيتهم، فضلاً عما تتمتع به شخصية المتنبي من سماتٍ رفيعة في غاية النبل والأنفة والعصامية والتحدي، وعلى هذا الأساس غاص الشعراء في بحر أفكاره، وتعمقوا في أغواره، واستبطنوا لآلئ جديدة ودرراً ثمينة تعجب الناظر. وتبهر السامع لما فيها من دقّة وروعة وبهاء.

وتعد الموسيقى من العناصر الرئيسة التي يرتكز عليها البناء الفني للقصيدة العربية، ولذلك كثيراً ما وقف عندها نقادنا القدماء، وحرصوا على الإحاطة بمحاسنها و إبراز مزاياها واتخذوا منها وسيلة للمفاضلة بين الألفاظ، ولا ريب في أن تتكئ الدراسات النقدية الحديثة على ذلك الموروث، وموروث المتنبي على وجه الدقة والتحديد أما فيما يتعلق بالوزن، فإن شعراء اليمن لم يفارقوا الأوزان العربية الخليلية التي تشكل المحور الرئيس للقصائد البيتية. وقد أثبتت الدراسة الإحصائية لشعر المتنبي وأخذ عينة من نتاج شعراء اليمن وعلى وجه الخصوص لمن دللنا لهم بنماذج شعرية في بحثنا هذا، بحيث تتطابق هذه العينة مع نتاج المتنبي قافية ورويا ووزناً، وخرجنا بنتيجة مؤداها أن ديوان المتنبي ظل نصّاً مقروءاً بضراوة، فقد

تكرر ثانية، كما تكررت شخصية المتنبي ومواقفه مرة أخرى في شعر اليمن الحديث.

- لقد أفاد شعراء اليمن من الأحداث المرتبطة بتجربة المتنبي فاستحضروا بعض الأحداث الدالة، التي تطور التجربة المعاصرة، وتضفي عليها ملامح من التجربة المعروفة للشخصية من دون أن يبقوا أسرى لدلالات تلك الأحداث، إذ تصرفوا بها إلى الحد الذي يخدم التجربة المعاصرة.

- تأثر شعر اليمن الحديث بعوامل كثيرة داخلية وخارجية في المراحل كافة غير أن مرحلة الأربعينيات حتى التسعينيات من القرن الماضي، وكانت مرحلة التحول الحقيقي الفاعل في كل المجالات، إذ تعد الانطلاقة الفكرية والشعرية في اليمن، لأنها ارتبطت بالثورة والنضال، إذ ارتبط الشعر بواقع العصر وقضاياه ولغته، وهذه المرحلة لا تختلف عن عصر المتنبي وثورته على الأعاجم وأعوانهم، وقد عمد الشعراء إلى تطوير قصائدهم من خلال الانفتاح على ثقافات كثيرة ومتنوعة، فضلاً عن شغف الشعراء بمورث المتنبي والتغني ببطولاته وأمجاده.. إلى ما هنا لك.

- لقد أثبتنا أن شعراء اليمن قد تمكنوا من توظيف أحداث ثورة المتنبي وجهاديته توظيفاً عصرياً، وذلك لمعالجة الواقع المعيش، وبثّ روح الحماسة والجهاد فيه، ومقارعة الاستعمار ومواجهة التحديات.

- عنيت هذه الدراسة بمضامين المتنبي ورموزها التي شغلت معظم شعراء اليمن ؛ لأنه يعد عاملاً رئيساً ومقوماً من مقومات أمتنا العربية والإسلامية، فحلّق الشعراء في أجوائه من غير عائق، يستحضرون عزَّهم الخالد ومجدَهُم التليد.

- استحضر شعراء اليمن في قصائدهم المضامين الحضارية ورموزها وشواخصها طيلة المدة التي عاش فيها المتنبي، وكان للأماكن الأثرية والحضارية والممالك التي شكلت حضارة تاريخية خالدة مثل (حلب ودمشق وبغداد والكوفة والفسطاط وشيراز وغيرها حضور فاعل ومهمٌّ في قصائد الشعراء. وقد ركزوا على الأحداث التاريخية المهمة والمعارك العربية والإسلامية وكسبها دلالات معاصرة بقصد التذكير بها من خلال الاستعادة التاريخية، ومن المعارك التي كان لها

حضور في شعر اليمن الحديث معركة الحدث الحمراء،وغيرها من المعارك التي شهدها سيف الدولة في مواجهة الروم.

- اتخذت الرموز المستمدة من التراث التاريخي، والتي عمد المتنبي إلى توظيفها حيزاً في قصائد الشعراء اليمنيين، والتي عمدوا فيها إلى توظيف المتنبي وشعره بما يتلاءم وواقعهم المعيش .

- ارتبط شعراء اليمن بشعر المتنبي شكلاً ومضموناً، وركزوا على قصائد كثيرة فاستخدموا بعض أبيات المتنبي مابين تضمين أو استلهام أو تحوير معنى أو معارضة، أو تقمص شخصية الشاعر أو التعبير عن حادثة أو واقعة أو غير ذلك، وقد أخذت سيفياته نصيب الأسد من هذا التوظيف، وكان لقصيدة (واحر قلباه) الحظُّ الأوفر في استحضار شعراء اليمن لها .

- كان لأسلوب القناع اثرٌ فاعلٌ في هذا البحث، وقد حاول البردوني أن يتقمص موقفاً من مواقف المتنبي في قصيدته (وردة من دم المتنبي) سنة ١٩٨٠م . وتعد هذه القصيدة من أنضج القصائد وأهمهما وأكثرها قدرة تعبيرية .

- وظفت مضامين المتنبي ومواقفه في القصيدة الجديدة توظيفاً عصريّاً، بحيث أصبح التراث عندها بناءً عضوياً ينمو من خلالها، وهذا أقصى غايات التفاعل بين صوره ومضمونه، ولم يقف عند هذا فحسب، بل أصبح المتنبي قناعاً يتقمصه الشعراء، ويسقطون من خلاله أبعاد رؤيتهم الشعرية، ويتمثل ذلك بدرجة رئيسة في شعر المقالح، إذ ساعدته موهبته وقدرته في ذلك من خلال توظيفه للمتنبي في كثير من قصائده.

- لقد حاولنا – فيما تقدم – أن نرصد مضامين المتنبي المتعددة التي تصنع عالم الشعر اليمني المقاوم، والتي تحدد مضامينه المختلفة، وذلك بهدف توضيح ما يميز الحركة الشعرية اليمنية التي ألهبت جذوة الحماسة الثورية، وقد ارتأينا أن نتابع مضمون المتنبي وتراثه ولاشك في أننا قد وظفنا بعض الشواهد الشعرية التي تمتلك قيمة الشهادة على صحة القضايا المثارة.

- إن استقصاء أثر المتنبي في شعر اليمن الحديث مهمة صعبة، ولا يمكن أن تفي بها مئات البحوث والدراسات، فلعلنا نكون قد أسهمنا في خطوة ريادية

متواضعة في هذا الطريق آملاً من الدارسين أن يكملوا هذا الطريق ،وأن يتقصوا الأثر التراثي لهذا الشاعر الذي شغل الناس وملأ الدنيا في شعر كل شاعرٍ من شعراء اليمن، كما نأمل أن تكون نتائجه أرضاً خصبة تمهد لدراسات قادمة تغني الموضوع وتزيده عمقاً.

- وقد سارت الدراسة في منهج قدمت فيه إشارات لم تكن تسعى إلى الوقوف عند رمز واحد أو حادثة بعينها ، بل شغلها الامتداد نحو مضامين المتنبي كافة، فضلاً عن مواقفه وأحداثه،وجهاده وأنفته، فضلاً عن شاعريته التي يمكن أن تفتح للقصيدة العربية آفاق زمن ملحمي دائم الحركة نحو المستقبل، يضفي على النص الشعري حالة الأمل المرجو الساعي إلى تحقيقه.

- وبعد فقد بذلت غاية جهدي في محاولة الإبانة عن جذور المتنبي التراثية في النسيج الشعري المعاصر في هذا البحث فإن أصبت فذلك مَنٌّ من الله جل في علاه، وإن كان من نقص هنا أوهناك، فذلك طبع الإنسان الذي لم يبرئه الله من النقصان، وحسبي أني حاولت، وأسأل الله تعالى أن يقع بالمنزلة التي أمّلت والحال التي أردت فإن وقع على ما ارتأيت فذلك بتوفيق من الله وحسن تأييده، وإن وقع بخلافها فما قصرت في الاجتهاد، فحسبي أجر المجتهد .

- وأسأل الله جلّ في علاه أن يكون هذا العمل في ميزان حسناتي يوم العرض على وجهه الكريم ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾. سورة الشعراء ٨٨- ٨٩

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.